أثر خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية في نشر ثقافة المحبة والتسامح

م.د. كريم حمزة حميدي

كلية الإمام الكاظم (ع)

أقسام بابل

kareemkareemxx@yahoo.com

ISSN: 2071-6028

ISSN: 2071-6028

أثر خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية في نشر ثقافة المحبة والتسامح

م.د كريم حمزة حميدي
كلية الإمام الكاظم (ع)- أقسام بابل

ملخص باللغة العربية

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أمَّةَ الإسلام أمة الاعتدال والتسامح والمحبة، فليس التطرف والغلو والظلم والعدوان على الآخرين من شيم هذه الأمة فقد جعلها الله تعالى أمةً وسطًا كما نصَّ القرآن الكريم ذلك، فالتسامح والمحبة هما ركيزة الإسلام في مرحلة الدعوة باعتراف جميع المؤرخين وعند القراءة الواعية للقرآن الكريم والتأمل في نصوصه المباركة، وبإنعام النظر في سيرة الرسول المصطفى ﷺ نجد فيهما تأكيد الاعتدال والاستقامة في شتى جوانب الحياة، من هنا حاول البحث رصد عددٍ من مظاهر خطاب المحبة والتسامح في المدونتين المقدستين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجاء البحث على تمهيدٍ ومبحثين، تناولتُ في التمهيد الخطاب وأثره في المتلقي. في حين جاء المبحث الأول ليسلط الضوء على دراسة النصوص القرآنية التي تتضمن خطاب المحبة والتسامح. وأما المبحث الثاني فخصص لدراسة النصوص الواردة عن السنة النبوية الشريفة في ضوء خطاب المحبة والتسامح.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، ثقافة ، محبة

Impact of Quran and Sunnah Discourse on the Dissemination of the values of Love and Forgiveness

Dr. Karim Hamza Hameedi Al-Essawi
Grand Imam University College

Abstract: Almighty Allah made Islamic nation a nation of love, tolerance and moderation. So, extremity, extravagance, tyranny, and aggression against others are not its traits. Instead, Almighty Allah made a middle nation as Holy Quran revealed. Love and tolerance were one of the important pillars of Islamic nation at the stage of its call with the admittance of all historians. A close reading and contemplation for Holy Quran and its texts with due attention to the biography of Prophet Mohammad (PBUH) finds that there is an emphasis on moderation and straightness in all walks of life. The paper tries to observe several phases of tolerance and love in Holy Quran and Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah). Accordingly, the paper consists of an introduction and two chapters. In the introduction, I have dealt with the discourse and its effect on the recipient. Chapter one sheds light on the study of Quranic texts which encompass the discourse of tolerance and love. While chapter two is allocated to study the texts in Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah) which covers the discourse of tolerance and love. The researcher concludes that the vocabulary of "love" and its derivations is used extensively in Holy Quran and Honorable Prophet Hadeeth (Sunnah). Almighty Allah proves in short sentences of Holy Quran the mutual love between the creator and the creatures and vice versa. More importantly, the Holy Quran talks about non-believers as brothers of prophets (Peace be Upon Them) in eight Quranic places. One of the visible human positions which are immortalized by history in the Prophet's biography is the brotherhood between immigrants and supporters. It is still a prominent feature of love. The prophet's attitude and respect towards holy books which belong to Jaws not only affects the Jaws themselves but also the orientalists of Jaws afterwards. This issue proves the originality and depth of Prophet's human mission.

Keywords: speech, culture, love

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنام سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم. وبعد...

فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الإسلام خاتمًا للأديان، وقد كرّم الله تعالى أمة الإسلام من بين جميع الأمم بأن جعلها أمة الاعتدال والتسامح والمحبة، فليس التطرف والغلو والظلم والعدوان على الآخرين من شيم هذه الأمة فقد جعلها الله تعالى أمةً وسطًا كما نصَّ القرآن الكريم ذلك، فالتسامح والمحبة هما ركيزة الإسلام في مرحلة الدعوة باعتراف جميع المؤرخين وعند القراءة الواعية للقرآن الكريم والتأمل في نصوصه المباركة، وبإنعام النظر في سيرة الرسول المصطفى ﷺ نجد فيها تأكيد الاعتدال والاستقامة في شتى جوانب الحياة، ومن أهم الأمور التي تتجلى فيها أهمية الاعتدال وآثاره على الفرد والمجتمع هو كيفية التعامل مع الآخر الذي يختلف مع المسلم في عقيدته أو في رأي معين، وهذا لا يأتي إلا من خلال ثقافة المحبة والتسامح.

من هنا حاول البحث رصد عددٍ من مظاهر خطاب المحبة والتسامح في المدونتين المقدستين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فجاء البحث على تمهيدٍ ومبحثين، تناولتُ في التمهيد الخطاب وأثره في المتلقي. في حين جاء المبحث الأول ليسلط الضوء على دراسة النصوص القرآنية التي تتضمن خطاب المحبة والتسامح في التعامل مع الآخر سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم. وأما المبحث الثاني فخصص لدراسة النصوص الواردة عن النبي ﷺ في ضوء خطاب المحبة والتسامح والابتعاد عن التطرف والتشدد. وقد ختمتُ البحث بخلاصةٍ بيَّنتُ فيها أهم ما جاء في البحث، وقد تنوَّعتْ روافد البحث بين المصادر القرآنية والمدونات الحديثية وغيرها مما يخدم فكرة البحث. وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

التمهيد: الخطاب وأثره في المتلقي

يُعدُّ الخطابُ من أهم مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هُويَّةُ الإنسان، فضلًا عن كونه المرآةَ التي تعكسُ مشاعرَهُ وانفعالاته واتجاهاته النفسيَّة، يُقابلُ ذلك متلقي الخطاب الذي لا بُدَّ من أن تظهرَ آثار ذلك الخطاب فيه، والخِطابُ في اللغةِ: مراجعةُ الكلام(١). أي: مراجعة الكلام بين المتكلم والسامع. جاء في (مقاييس اللغة): "الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطبهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ"(٢). أمَّا معنى الخطاب في الاصطلاح، فهو: "توجيهُ الكلام نحو الغير للإفهام، ثُمَّ نُقِلَ إلى الكلام المُوَجَّه نحو الغير للإفهام، وقد يُعبَّر عنه بما يقع به التخاطب"(٣). فلا بُدَّ من أن يكون ذلك الخطاب مفهومًا، ويتجنَّب الغموض، وهذا ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]. قال الزمخشري: هو "البيِّن من الكلام المخلص الذي يتبيَّنه مَن يُخاطَب به لا يلتبس عليه"(٤). لذا يحتاجُ الخطيبُ إلى لغةٍ فصيحةٍ، وبلاغةٍ في البيان، تعينه على إظهار ما استجاشت به نفسه من مشاعر مكارم الأخلاق وسمو النفس، فيكونُ ذا ذوقٍ لفظيٍّ، ونموٍّ فكريٍّ، وعاطفةٍ جيَّاشةٍ. ومن هنا قيل: " مطالع العلوم ثلاثة: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور"(٥) وبالعبارة الجزلة الجميلة المؤثرة تُستَدر العواطف، ويُجمع بها شتات القلوب المتفرقة، وتجمع بها كلمة الحق والخير.

وأمَّا المُخاطَبُ، فهو عنصرٌ مهمٌّ في تركيبة الخطاب، وهو العنصر الثاني من حيث الأهمية، فلا بُدَّ من وجود وشائج الاتصال مع الآخرين؛ لأنَّ "الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فهو اجتماعي في أعمق أعماق طبيعته الميتافيزيقية، وما دامتْ حياةُ الإنسان تعبيراً عن الأَنا فإنها تفترضُ وجودَ الآخرين"(٦).

---

(١) ينظر العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (خطب): ٢٢٢/٤، وتهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، مادة (خطب): ١١٢/٧.

(٢) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م. مادة (خطب): ١٩٨/٢.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٧٤٩/١.

(٤) الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٨٠/٤.

(٥) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل، طبع: بيروت، دار الكتب العلمية د.ت: ٤٨.

(٦) العزلة والمجتمع، نيقولاي برد يائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م: ٩١ .

ويأتي خطاب القرآن الكريم في صدارة الاستعمالات اللغوية في التراث من حيث التأثير في المتلقي، فانبهر به العرب، وكان سببًا رئيسًا لدخول غير العرب في الدين الإسلامي؛ فأعجز القدرة البشرية أن تأتي مثله. لذا عمد البيانيون بمختلف مرجعياتهم إلى تغلغل النص القرآني في بواطن نتاجاتهم الإبداعية والفكرية، ليكون مرجعية تعين المتلقي على تفهم خلفية النصّ المرسَل، كما تعين المرسِل على نسج نصّه بصور مستجيبة عند القارئ المسلم(١).

ومن هنا فإنّنا يجب أن نؤثر الاستعمال القرآني والخطاب الإلهي بوصفه نظمًا كلاميًّا عاليًا على الاستعمالات كافة؛ لأنّنا كما يقول الدكتور صبحي الصالح: (نجعل القرآن حكمًا على قواعد اللغة والنحو، ولا نجعل تلك القواعد حكمًا على القرآن، فما استمد النحاة قواعدهم إلّا من القرآن بالدرجة الأولى، ثم من الحديث وكلام العرب بالدرجة الثانية)(٢). فما زال المتكلم اليوم بحاجة إلى التزوّد من الخطاب القرآني بغض النظر عن قواعد اللغة؛ لما فيه من حجة للسان، وبراعة في البيان.

المبحث الأول: خطاب المحبة والتسامح في القرآن الكريم

سنتناول في هذا المبحث عددًا من الآيات القرآنية المتضمنة خطاب المحبة والتسامح، سواء أكان ذلك الخطاب مع المسلمين أم مع غيرهم؛ لأنَّ الخطابَ في الإجمال هو خطابٌ سماويّ، يحملُ صفاتٍ حميدةً ملؤها المحبة والتسامح، والتي انعكست على خلقِ صاحب الدعوة الإسلاميَّة الرَّسول محمَّد ﷺ، كما سيتبين ذلك في المبحث الثاني.

إنَّ لفظ (الحب) ومشتقاته استُعمل كثيرا في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد أثبت الله تعالى في جمل قصيرة من القرآن حبَّ العبادِ مع الله وحبَّ الِله مع العباد، فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]. ثم أظهر لبيان المقصود نوعية العباد الذين يستحقون محبة الله؛ إذ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]. ويعلم بهذه الآيات أن صفات الإحسان والتوبة والعدل والقسط والتقوى والصبر والطهارة وسيلة لحب الله تعالى.

فعلى سبيل التمثيل في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ المذكور آنفًا قال الراغب الأصفهاني: (فمحبّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبّة العبد له طلب الزّلفى لديه. وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص:٣٢]، فمعناه: أحببت الخيل حبّي للخير، وقوله

(١) ينظر تأصيل النص (قراءة في أيديلوجيا التناص)، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، اليمن، ط١، ٢٠٠٣م: ١٦٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م: ٢٥٨.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، أي: يثيبهم وينعم عليهم، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٣]، تنبيها أنه بارتكاب الآثام يصير بحيث لا يتوب لتماديه في ذلك، وإذا لم يتب لم يحبّه الله المحبّة التي وعد بها التوابين والمتطهرين)[١]. ويحملُ الخطاب القرآني في هذا النص دلائل معنوية كبيرة؛ إذ إنَّ محبة المعبود للعبد أعلى ما يطمح إليه الإنسان الذي تحلَّى بالإحسان والصبر والتوبة وغيرها من الصفات، ممَّا يدلُّ على عظمة الخالق ورحمته وعطفه، بخلاف من يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر، وعذاب وعقاب، وجفوة وانقطاع.

ومن الآيات القرآنية التي تدلُّ على التسامح قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ [البقرة:١٠٩]. فالعفو: هو ترك العقوبة على الذنب. والصفح: هو ترك اللوم عليه وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو ولا يصفح. جاء في تفسير الطبري: (يعني جل ثناؤه بقوله: (فاعفوا) فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأي أشاروا به عليكم في دينكم، إرادة صدكم عنه، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم، وعما سلف منهم من قيلهم لنبيكم ﷺ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء:٤٦]، واصفحوا عما كان منهم من جهل في ذلك حتى يأتي الله بأمره، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء، ويقضي فيهم ما يريد. فقضى فيهم تعالى ذكره، وأتى بأمره)[٢]. وَالْأَمْرُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ هُوَ أَنْ لَا يُقَاتِلُوا وَأَنْ يُعْرَضَ عَنْ جَوَابِهِمْ فَيَكُونَ أَدْعَى لِتَسْكِينِ الثَّائِرَةِ وَإِطْفَاءِ الْفِتْنَةِ وَإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ، لَا أَنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الرِّضَا[٣].

ومن الآيات التي تضمنت الاعتدال في التعامل مع أهل الكتاب من خلال محاورتهم بالحسنى والانطلاق من النقاط المشتركة بوصفهم أتباعا لديانات سماوية، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، فعند الرجوع إلى أقوال المفسرين

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ: ٢١٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٥٠٣/٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٥٥٩/١ .

لمعرفة المراد من الآية والمقصود من كلمة (سواء) نجد أن المراد منها كلمة الحق والعدل، يقول السمرقندي في تفسيره لهذه الآية: (قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني كلمة عدل بيننا وبينكم... ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يعني ألا نوحد إلا الله ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من خلقه ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم اتخذوا عيسى ربا ... ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ يعني أبوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟﴾ لهم يا معشر المسلمين ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون لله بالعبادة والتوحيد)[١].

وبناءً على ما تقدّم اتّضح بأنَّ المراد من (كلمة سواء) هي الكلمة العادلة التي لا ميل فيها لطرف دون آخر وهي كلمة الحق التي جاء بها جميع الأنبياء وهي توحيد الله تعالى وترك عبادة غيره[٢] .

لذا نجد النص القرآني يعبّر عن القوم الكافرين بأنّهم إخوة الأنبياء (عليهم السلام)، في ثمانية مواضع قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]، فأضاف الله تعالى نبيه إلى الكافرين بالأخوة[٣]، ولتوضيح الإخوة قيل: إنَّهم قالوا للأنبياءِ أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنَّه قد أتاهم بَشَرٌ مثلُهم من وَلدِ أبيهم آدمَ، وهو أرْجح عليهم. ويجوز أن يكون أخاهم؛ لأنه من قومهم ليكون أفهمَ لَهُمْ بأن يأخذوا عن رجل مِنْهُمْ[٤].

إنّ هذا التعبير يشير إلى أنّ معاملة هود لهم كانت أخوية على الرغم من كونه نبيّاً، وهذه الحالة هي صفة الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً، فهم لا يعاملون الناس من منطق الزعامة والقيادة أو معاملة أب لأبنائه، بل من منطلق أنّهم إخوة لهم معاملة خالية من أية شائبة واي امتياز أو استعلاء[٥] ويتكرر الحكم ذاته مع قوم النبي صالح (عليهم السلام)، وذلك في قوله

---

(١) تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ): ٢٢١/١.

(٢) مجمع البيان، مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطوسي، صيدا، ١١٣٣هـ: ٢١٤/٢.

(٣) ينظر الإفصاح، محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط١، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ: ١٢٦.

(٤) ينظر معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ٣٤٧/٢.

(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م: ٥٨٨/٦.

تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، ونرى هنا أيضاً أنّ القرآن حين يتحدث عن نبيهم صالح (عليه السلام) يذكره على أنّه أخوهم، وأي تعبير أروع وأجمل منه حيث بيّنا قسماً من محتواه في الآيات المتقدمة، أخ محترق القلب ودود مشفق ليس له هدف إلاّ الخير لجماعته(١).

ومن الآيات القرآنية المباركة التي تجلت فيها أسمى صور الاعتدال في التعامل مع اليهود والنصارى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ففي هذه الآية الكريمة يضع القرآن الكريم للمسلم منهج المناظرة والمحاورة مع أهل الكتاب وهو منهج الاعتدال والاستقامة والانصاف، فالقرآن الكريم يأمر المسلمين بأن تكون مجادلتهم ومناظرتهم لأهل الكتاب ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي أن تكون المناظرة والمجادلة معهم بالرفق ولين الكلام وحسن الخلق واللطف في الدعوة إلى الحق، لا أن يكون الكلام معهم بالشدة والغلظة والتعالي عليهم ومحاولة الانتقاص منهم، وأن يكون الهدف منها الوصول إلى الحق واتباعه وليس بقصد الانتقاص منهم وإظهار ضعفهم وعجزهم عن الرد؛ لأن ذلك لا يعود بالنفع على الاسلام والمسلمين، فيكون الكلام معهم بأسلوب معتدل جميل ينتقي فيه المتحدث عباراته بعيدا عن التطرف والغلو فيستميل قلب الطرف الآخر إليه ويصلا معا إلى الحق، باستثناء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ فهؤلاء لا ينفع معهم الرفق واللين لأنهم أعلنوا عداءهم لله ورسوله وكفروا بالنبي ﷺ وكتموا ما يعرفون من صفاته المذكورة في الانجيل(٢).

وبعد التوجيه بالقول بالحسنى في محاججتهم لأهل الكتاب أمرهم القرآن الكريم بأن يوضحوا لهم موقف الاسلام من الأنبياء السابقين (عليهم السلام) فالمسلمون يؤمنون بمن سبقهم من الأنبياء (عليهم السلام) ويجمعهم مع أتباع الديانات السماوية الأخرى توحيد الله تعالى وعدم الشرك به جلَّ وعلا، يقول تعالى: ﴿مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ فالقرآن الكريم يريد أن تكون محاججة المسلمين لأهل الكتاب (مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٥٧٧/٦.

(٢) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٣١/٨ – ٣٢، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ٦٣٢.

مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم من حق وباطل فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا)[١]. فمن خلال هذه المحاججة والمناظرة المنطقية التي تتسم بالاعتدال والانصاف في التعامل مع الآخر تقام الحجة عليهم لأن القرآن الكريم يؤكد على القضايا العقائدية المشتركة بين جميع الأديان السماوية فتوحيد الله تعالى والإيمان بالرسل وبالكتب السماوية التي أنزلت معهم وما أنزل على نبينا الكريم محمد ﷺ هذه الأمور هي من صميم الاسلام ومن خلال هذا الخطاب المعتدل تقام الحجة عليهم بالتصديق بالنبي محمد ﷺ والايمان بالقرآن الكريم[٢]، فهذا الخطاب المعتدل يظهر الحق جليا أمام الآخر بعيدا عن التطرف أو الغلو والاقصاء أو الانتقاص من الرسل (عليهم السلام)، فالمسلم لا يمنعه الهوى وتأخذه العزة بالإثم من الاعتراف بالحق إن كان مع من يختلف معه في العقيدة أو الرأي بل يكون الهدف هو إعلاء الحق ونصرته واتباعه بعيدا عن التعصب لجهة دون أخرى وإملاء ما يريد عليه.

ومن المفاهيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام بل أكّد عليها في أكثر من مورد؛ إذ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وبهذا الخلق الرفيع وهذه الرحمة الواسعة استطاع النبي ﷺ أن يهدي الطغاة والمتجرفين والأجلاف الذين لم يستطع أحد قبله أن يتعامل معهم أو يقودهم. فقد أرسل الله تعالى نبيه الأكرم رحمة للعالمين، من دون التفريق بين العالمين سواءً كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

ومن آيات التسامح والمغفرة قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤] ؛ إذ ندبهم إلى حسن الخلق، وجميل العشرة، والتجاوز عن الجهل، والتنقى من كدورات البشرية. ومقتضيات الشّحّ. وبيّن أنّ الله ﷻ لا يفوته أحد. فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أولياءه، وكيف يدمّر أعداءه. فليصبر أياما قلائل ليعلم كيف صارت

(١) تيسير الكريم الرحمن: السعدي: ٦٣٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: السعدي: ٦٣٢.

عواقبهم[١]. قال الرازي: (وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْغُفْرَانِ الصَّبْرُ وَتَرْكُ الِانْتِقَامِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الْفُرْقَانِ:٧٢] وَقَالَ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الْأَحْقَافِ:٣٥] وَقَالَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ:٣٤] قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ هَذَا قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ. قَالَ الْقَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَقِيبَ قِصَّةِ أُحُدٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يُؤْذُونَ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ الْأَقْوَالِ الْجَارِيَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَاسْتِعْمَالِ مُدَارَاتِهِمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَمْرُ بِالْقِتَالِ لَا يُنَافِي الْأَمْرَ بِالْمُصَابَرَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْوَاحِدِيِّ ضَعِيفٌ، وَالْقَوْلُ مَا قَالَهُ الْقَفَّالُ)[٢]. فهذه جملة من الآيات الكريمة التي ذكرها الرازي ليبيّن أنَّ المغفرة هنا هي الصبر، ثمَّ ردَّ على الواحدي قوله بالنسخ؛ لمَّا يترتب عليه من معنى ضد المحبة والتسامح التي تترجح من دلالة الآية الظاهرة، فضلًا عن سياق النص.

وهذا دليل آخر يظهر منهجية القرآن الكريم في حرية الفكر والمعتقد، فالنقطة السابقة بيّنت أنّ الإسلام لا يلزم أحداً باتباع منهجيته بالقوة، والنقطة الحالية تؤكد على السماح للآخر بممارسة المعتقد المخالف للرؤية الإسلامية، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:١-٦].

المبحث الثاني: خطاب المحبة والتسامح عند النبي ﷺ

سنتناول في هذا المبحث خطاب المحبة والتسامح في النصوص الموروثة عن النبي محمد ﷺ، فقد قام دين الله ﷻ وشع نوره ليضيء أرجاء المعمورة فكان العدل عماده والسماح أوتاده، به حفظت الحقوق وصينت الحرمات وعمرت الأوطان وسعدت النفوس واستقرت الأرواح، وقد نصب الحق سبحانه وتعالى لهذا الكون موازين قسط وعدل، ومن هذه الموازين رسول الإنسانية، ومثبت أركان المحبة والتسامح، النبي محمَّد ﷺ، وتمثَّل ذلك بأقواله وأفعاله. من هنا سنسلط الضوء في هذا المبحث على أقواله وأفعاله ﷺ وأثرهما في نشر المحبة والتسامح.

(١) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، د.ت: ٣/٣٩١.

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٩/٤٥٤.

ومن الأحاديث النبويَّة الشريفة التي تعدُّ عنوانًا للمحبة والتسامح قوله (ﷺ) كما جاء في صحيح البخاري: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)[١]. ومنه قوله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُدِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)[٢]. فقولُهُ ﷺ يشبِّهُ فيه المؤمنين بالجسد، الذي يكون الإنسانُ حريصًا أشدَّ الحرص على المحافظةِ عليه؛ لأنَّ إصابةَ عضوٍ منه مدعاةٌ لإصابته بالحمَّى والسَّهر، وكذا علاقة المؤمنين فيما بينهم من حيث الرحمة والمودة والصلة.

فالرسول محمد ﷺ أدبه ربه فأحسن تأديبه، وقد خلقه ليحمل أقوى رسالة، وأعظم هداية، رباه ربه على الصفح الجميل، ليكون قلبه متجها دائما إلى ما هيأه الله تعالى له، من حمل الدعوة إلى الحق، متفرغا لها، فما كان من إحن يضعها دبر أذنه، وما كان من واجب تفرغ له ليبلغ الرسالة على أكمل وجه، فلا يشغل نفسه حقد، ولا تملؤها إحن، فحسك الصدور يشغل عن العمل، ويفسد الصلات، ويغرى بالعداوة، ونبي الله تعالى فوق أن يشغله ضغن. ولقد كان النبي ﷺ كذلك قبل أن يبعثه الله تعالى، فلم يعلم في تاريخ حياته أنه شغل نفسه بأحقاد الجاهلية وما كانت تبثه من عداوات[٣].

ومن المواقف الإنسانية التي خلَّدها التاريخ في سيرة الرَّسول الأكرم ﷺ وتعدُّ علامةً من علامات المحبة هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، إذ كانت سياسة الرسول في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم، فربط بينهم برباط قوي متين، وذلك أنه عقد تلك الأخوة النادرة المثال بين الأنصار والمهاجرين، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب، فكان أبو بكر الصديق أخا لخارجة بن زهير الأنصاري، وكان أبو عبيدة بن الجراح أخا لسعد بن معاذ الأنصاري، وكان

---

(١) صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ: ٥٧/٣. برقم (٢٠٧٦).

(٢) مكارم الأخلاق للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ٣٤٣.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ: ١٨٤/١.

عبد الرحمن بن عوف أخا لسعد بن الربيع الأنصاري، وهكذا أصبح المهاجرون والأنصار بنعمة الله إخوانا(١).

إنّ إخوّة العقيدة والايمان هي الأخوّة المطلوبة؛ لأنّها خالصة لذات الله عزّ وجل، فهي ليست كأخوّة النسب والعشيرة أو غيرها فقد ذكر لنا القرآن الكريم نهايات مأساوية لعدة مظاهر هي تعد من معاني الأخوة على الرغم من أنها لا تقل شأنا عن أخوة الايمان فيما اذا اقترنت به، لذلك أثبت رسول الله ﷺ لسلمان المحمدي رابطة لا تنقطع حينما قال: (سلمان منا أهل البيت)(٢)؛ لأنّه قصد أهل بيت العقيدة الحقة، فصار مرتبطاً بأهل هذا البيت بهذه الرابطة. فالاختلاف الظاهر بين البشر من حيث البلدان والانساب والالوان وغير ذلك هذا الاختلاف ينصهر في بوتقة العقيدة والدين وهذا هو التشريع الذي جعله الدين الاسلامي وبنى عليه الهرم المجتمعي واراد الحفاظ عليه والدفاع عنه وصرح قائلا : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. فالحب والتآخي في العقيدة ليس لأجل المصالح الدنيوية التي تتصرم مع زوال المصلحة.

وكان النبي ﷺ حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي أمتثالاً لقوله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وكتأكيد على التسامح الديني ما روي في البخاري عن أبي هريرة حين حدث تشاد بين مسلم ويهودي فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين وقال اليهودي: والذي أصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم اليهودي فشكا إلى النبي محمد ﷺ فدعا المسلم ونهره قائلاً "لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى...)(٣).

ومن مواقف التسامح في عهد الرسول ﷺ ما قرره بين المسلمين واليهود في صحيفة، فلمَّا قدم المدينة، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم، وجاء فيه: "أنه من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن قبائل يهود أمة مع

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان: ١٩٥.

(٢) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢: ٢١٢/٦. برقم (٦٠٤٠).

(٣) ينظر صحيح البخاري: ١٢٠/٣. برقم (٢٤١١).

المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم[١]. لقد اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم بحرية ممارسة عقيدتهم، كما ضمنت لهم الحماية والمساواة في المعاملة.

وهكذا ظلت طوائف يهودية كبيرة في بلاد الحجاز وفي المدينة المنورة ذاتها طوال عهد النبي ﷺ تنظم علاقتها بالمسلمين مصالحات وعهوداً أبرمها النبي ﷺ واستمرت نافذة بعد وفاته. ويوجد في المدينة على عهد النبي ﷺ بعض النصارى بقوا على دينهم، وكان الرسول ﷺ قد عرض على بعضهم الإسلام ولم يفرضه فإن أبوا قسمت أموالهم نصفين وتركت لهم حريتهم الدينية، وذلك فيما يبدو كان جاريًا على النصارى المقيمين في المدينة وقد حدث جعدة بن هاني الحضرمي "أنَّ النبي بعثه إلى رجل نصراني بالمدينة يدعوه إلى الاسلام وقال له: فإن أبى اقسم ماله نصفين".

أما ما تمثل في أحد المواقف وهو في موقعة مؤتة فإن الرسول ﷺ قد خرج مُشَيِّعًا لِأَهْلِ مُؤْتَةَ حَتَّى بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، فَوَقَفَ وَوَقَفُوا حَوْلَهُ، فَقَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالشَّامِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهِمْ رِجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ مِنَ النَّاسِ فَلَا تَعَرَّضُوا لَهُمْ، وَسَتَجِدُونَ آخَرِينَ لِلشَّيْطَانِ فِي رُءُوسِهِمْ مَفَاحِصُ فَافْلِقُوهَا بِالسُّيُوفِ، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً، وَلَا صَغِيرًا ضَرَعًا، وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا، وَلَا تَقْطَعُنَّ شَجَرَةً، وَلَا تَعْقِرُنَّ نَخْلًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا)[٢]، وعلى الرغم من أن الجهة التي أرسلها لهم الرسول ﷺ كانت جهة الروم وهم نصارى وفيهم أديان أخرى، إلا ان الملاحظ أن الرسول ﷺ يأمر جنوده بعدم قتل الناس أو قطع الشجر أو إغراق النخيل أو التعرض لمن هم بالصوامع لغرض التعبد وهم يخالفون دين الإسلام، وهو يمثل ولا شك قمة فيما نسعى إليه للتوصل في بحثنا هذا .

فإنَّ الإسلام يؤكِّد في ثقافته على إفشاء السلام بكل تداعياته ليحجب عن العنف حضوره بكل تداعياته، كما تبيَّن في خطبة الرّسَول ﷺ المذكورة آنفًا، لذا قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ فِيكُمْ)[٣] وإفشاء السلام سبب من أسباب

(١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م: ٥٠١/١.

(٢) ينظر السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ١٥٤/٩.

(٣) ينظر: المعجم الكبير: ١٨٢/١٠. برقم (١٠٣٩١).

السلامة: فعن البراء عن رسول الله ﷺ قال: (أفشوا السلام؛ تسلموا)(١). كما أنَّ السلام وسيلة من وسائل التحاب والتآخي بين أفراد المجتمع ومختلف فئاته التي لها أثر كبير في زرع الثقة بينهم كما في قول رسول الله ﷺ: (أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)(٢). وقال النووي في شرحه للحديث: (وَفِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّأَلُّفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أُلْفَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَإِظْهَارُ شِعَارِهِمُ الْمُمَيِّزِ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلُزُومِ التَّوَاضُعِ وَإِعْظَامِ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ)(٣).

ومن المواقف المشهودة في سيرة الرَّسول الأكرم ﷺ التسامح مع أناس أسروا وهم على شركهم، فلم يلجئهم على الإسلام، بل تركهم واختيارهم. ذكر الثقات من كتّاب السير والحديث أن المسلمين أسروا في سرية من السرايا سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال الحنفي وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله فعرفه وأكرمه، وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضا كريما فيأبى ويقول: إن تسأل مالًا تعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، فما كان من النبي إلا أن أطلق سراحه. ولقد استرقت قلب ثمامة هذه السماحة الفائقة، وهذه المعاملة الكريمة، فذهب واغتسل، ثم عاد إلى النبي مسلما مختارا. هكذا يُعلِّمُنا رسول المحبة والتسامح في التعامل مع الآخرين. فالخلق الحسن أثمر عن النتيجة المرجوة من دعوته ﷺ(٤).

ومن مواقف التسامح الديني في سيرة المصطفى ﷺ ما قام به عندما كان من بين المغانم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعدّدة من التوراة، فلمّا جاء اليهود

---

(١) ينظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، (١٤١١ – ١٤١٢ هـ) = (١٩٩٠ م –١٩٩٢م): ٦/٢١١.

(٢) ينظر: صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/٧٤. برقم (٥٤).

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢: ٢/٣٦.

(٤) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ: ٢/٩٩.

يطلبونها أمر النّبيّ ﷺ بتسليمها لهم[١]. يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون معلّقا على هذه القصّة: (ويدلّ هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون إلى النبيّ بالبنان، ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرّض بسوء لصحفهم المقدّسة، ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرّومان حين تغلّبوا على أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ ب. م إذ حرقوا الكتب المقدّسة وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصّبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة، وهذا هو البون الشاسع بين الفاتحين ممّن ذكرناهم وبين رسول الإسلام)[٢]. فموقف الرسول ﷺ هذا واحترامه للصحائف المقدسة لم يؤثر باليهود وحسب، بل أثَّر فيما بعد بالمستشرقين من اليهود وغيرهم، ممَّا يدلُّ على عمق الرسالة الإنسانية التي يحملها النبي محمد ﷺ.

ومن الأحاديث النبوية المأثورة التي تأمرُ بالمحبة ما جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا)[٣]. فالكلام محمول على المبالغة في الحث على التحابب وإفشاء السلام. أو المراد لا تستحقوا دخول الجنة أولا حتى إيمانا كاملا. ولا تؤمنوا ذلك الإيمان حتى تحابوا وأصله تتحابوا. أي يحب بعضكم بعضا.

(١) ينظر تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت د.ط: ٥٥/٢.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، القاهرة، ١٩٢٧م: ١٧٠.

(٣) صحيح مسلم: ٧٤/١. برقم (٥٤).

نتائج البحث

بعد رحلةٍ علميَّةٍ في رحاب مدونتين مقدستين، وهما القرآن الكريم والسنَّة النبوية خلصنا إلى عدد من النقاط المهمة على النحو الآتي:

- يُعدُّ الخطابُ من أهم مظاهر السلوك الإنساني، بل هو هُويَّةُ الإنسان، فضلًا عن كونه المرآةَ التي تعكسُ مشاعرَهُ وانفعالاته واتجاهاته النفسيَّة، يُقابلُ ذلك متلقي الخطاب الذي لا بُدَّ من أن تظهرَ آثار ذلك الخطاب فيه، المتكلم اليوم بحاجة إلى التزوّد من الخطاب القرآني بغض النظر عن قواعد اللغة؛ لما فيه من حجة للسان، وبراعة في البيان.
- إنَّ لفظ (الحب) ومشتقاته استُعمل كثيرا في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد أثبت الله تعالى في جمل قصيرة من القرآن حبَّ العبادِ مع الله وحبَّ الِله مع العباد، ويعلم بهذه الآيات أن صفات الإحسان والتوبة والعدل والقسط والتقوى والصبر والطهارة وسيلة لحب الله تعالى. ممَّا يدلُّ على عظمة الخالق ورحمته وعطفه، بخلاف من يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر، وعذاب وعقاب، وجفوة وانقطاع.
- عبَّر النص القرآني عن القوم الكافرين بأنّهم إخوة الأنبياء (عليهم السلام)، في ثمانية مواضع قرآنية.
- يضع القرآن الكريم للمسلم منهج المناظرة والمحاورة مع أهل الكتاب وهو منهج الاعتدال والاستقامة والانصاف، فالقرآن الكريم يأمر المسلمين بأن تكون مجادلتهم ومناظرتهم لأهل الكتاب ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.
- ذكر الرازي جملة من الآيات الكريمة ليبيّن أنَّ المغفرة في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ تعني الصبر، ثمَّ ردَّ على الواحدي قوله بالنسخ فيها؛ لمَّا يترتب عليه من معنى ضد المحبة والتسامح التي تترجح من دلالة الآية الظاهرة، فضلًا عن سياق النص.
- من المواقف الإنسانية التي خلَّدها التاريخ في سيرة الرَّسول الأكرم ﷺ وتعدُّ علامةً من علامات المحبة هي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وإنّ إخوّة العقيدة والايمان هي الأخوّة المطلوبة؛ لأنّها خالصة لذات الله ﷻ، فهي ليست كأخوّة النسب والعشيرة أو غيرها فقد ذكر لنا القرآن الكريم نهايات مأساوية لعدة مظاهر هي تعد من معاني الأخوة.

ISSN: 2071-6028

- كان النبي ﷺ حريصاً على التزام التسامح الديني مع اليهود كونهم أهل كتاب سماوي امتثالا لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.
- على الرغم من أن الجهة التي أرسل الرسول ﷺ المسلمين إليها في إحدى المعارك كانت جهة الروم وهم نصارى وفيهم أديان أخرى، إلا ان الملاحظ أن الرسول ﷺ يأمر جنوده بعدم قتل الناس أو قطع الشجر أو إغراق النخيل أو التعرض لمن هم بالصوامع لغرض التعبد وهم يخالفون دين الإسلام، وهو يمثل ولا شك قمة في الإنسانية والتسامح والمحبة.
- إنَّ موقف الرسول ﷺ في احترامه للصحائف المقدسة العائدة لقوم من اليهود، لم يؤثر باليهود وحسب، بل أثَّر فيما بعد بالمستشرقين من اليهود وغيرهم، ممَّا يدلُّ على عمق الرسالة الإنسانية التي يحملها.

- القرآن الكريم.
١. الإفصاح، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، مركز مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ط١، قم، إيران، ١٤١٢هـ.
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
٣. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت٩٦٦هـ)، دار صادر، بيروت د.ط.
٤. تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، القاهرة، ١٩٢٧.
٥. تأصيل النص (قراءة في أيديلوجيا التناص)، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، اليمن، ط١، ٢٠٠٣م.
٦. تفسير السمرقندي، (بحر العلوم)، بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ).
٧. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٩. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
١٠. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ.
١٣. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٤. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥. عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل، طبع: بيروت، دار الكتب العلمية د.ت.
١٦. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٧. العزلة والمجتمع، نيقولاي برد يائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
١٨. القول المبين في سيرة سيد المرسلين، محمد الطيب النجار (ت١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان.
١٩. الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٠. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، د.ت.
٢١. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
٢٢. مجمع البيان، مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطوسي، صيدا، ١١٣٣هـ.

٢٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
٢٥. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٢٦. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٢٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٢٨. مكارم الأخلاق سليمان بن أحمد بن أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٢٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
٣٠. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني، عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، (١٤١١-١٤١٢هـ) = (١٩٩٠م-١٩٩٢م).
٣١.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.